بادي الارتعاش فتبصر الحفل تبصر نقاد ثم زعم ان له خصماً غير منقاد فلم يكن الا كحسوة طائر او وحي اشارة حتى اذا حضر غلام كانه ضرغام فقال الشيخ ايد الله القاضي وعصمه من التعاظي ان ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي يجهل اوصاف الانصاف ويرتضع اخلاف الخلاف ان قدمت احجم وان اعربت اعجم وان ادكيت اخمد ومتى شويت برد مع اني كفلته مذ دب الى ان شب وكنت له الطف من رب ورب فاكبر القاضي ما شكا اليه واطرف به من حواليه ثم قال اشهد ان العقوق احد الثكلين ورب عقوق اقر للعين فقال الغلام وقد امعضه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملكهم اعنة الفصل انه ما دعا الا امنت ولا ادعى الا امنت ولا ابتغى الا اوحيت ولا اومى الا اصميت بيد انه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضي وبم اعنتك وامتحن طاعتك قال انه مذ صفر من المال ومني بالامحال يسومني ان اتمطى بالسؤال واستمطر سحب النوال ليفيض شره بما اغيض ويجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين اخذني بالدرس وعلمني ادب النفس اشرب قلبي ان الحرص متعبة والطمع معيبة والشره متخمة والمسئلة ملامة ثم انشدني من فلق فيه ونخب قوافيه

ارض باذني العيش وكن عن غنى ... شكر من العقل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل ... يحط قدر المتراقي اليه
وحام عن عرضك واتقه ... كما يحامي الليث عن لبدتيه

واصبر على

واصبر على ما ناب من فاقة ... صبر اولي العزم واغض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو ... حركت المسئول ما في يديه
فالحر من ان قذيت عينه ... اخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا اخلق ديباجه لم ... ير ان يخلق ديباجتيه

قال فتعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه وهر وقال له صه يا عقق يا من هو الشجى والشرق ويلك اتعلم امك البضاعة وظئرك الارضاع لقد حككت العقرب بالافعى واستبقت الفصال حتى القرعى ثم كانه ندم على ما فرط منه ووجد ثمة المقه على تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وثنى عليه بعين ملاطف وقال ويك اتي ان من امر بالقناعة وزجر عن الضراعة هم ارباب البضاعة واولو المكسبة بالصناعة فاما ذوو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات وهبك جهلت هذا التاويل ولم تبلغك ما قيل اللذي عارض اباه اذ قال وما جاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي ... يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل ارض معطلة ... من النبات كارض حفها الشجر
فعد عما يشير الاغبياء به ... فاي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ... الى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب ... فان بلت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

فلما راى القاضي تناسب قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من اهله